ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Tunisian-Algerian Relations: Between Guardianship, Peace and War 1782-1813

M.D. Maad Ibrahim Muhammad Yassin

M.D. Rasha Abdel Samad Ismail Hilal

Tikrit University - College of Education for Girls - Department of History

* *Corresponding author: E-mail* : Moad.e.mohamad@tu.eud.iq

07702008189

***Keywords*:**
Tunisia,
Algeria,
army,
bey,
pasha,
border

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	15 July 2023
Received in revised form	25 July 2023
Accepted	13 Aug 2023
Final Proofreading	19 Dec 2023
Available online	21 Dec 2023

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The relationship between Tunisia and Algeria has been characterized by Algerian political and military influence over Tunisia since the establishment of the Husseini state in July 1705. Algeria played a significant role in supporting and establishing the Husseini state, leading to Tunisia paying an annual tax to Algeria. Failure to pay this tax would result in Tunisia facing a military campaign or receiving military support for opposition against the ruling Bey in Tunisia from the Husseiniya prisoners residing in Algeria. Consequently, the equation will inevitably lead to the discontent and instability of the governing structure in Tunisia. Upon assuming control in Tunisia in 1782, Hammuda Pasha's primary objective was to dismantle the Algerian dominance that had persisted over Tunisia for a span of seventy years. In order to demonstrate Tunisia's resilience and bolster his military forces, he pursued a dual approach, using political tactics on one hand and leveraging the country's might on several occasions. The second objective was focused on military affairs, prompting him to enhance the Tunisian army by expanding its range of capabilities and advancing the production and refinement of weaponry to ensure preparedness. In order to counter any offensive from Algeria, he made the deliberate choice to withhold payment of the yearly tribute to Algeria and to establish Tunisia as an independent entity, free from any Algerian influence. Following a series of conflicts, the War of 1813 concluded with the triumph of the Tunisian army over the Algerian army. The Ottoman Empire intervened as a mediator to bring an end to the armed hostilities between the two sides. Consequently, Algeria's impact on Tunisia ceased, resulting in Tunisia distancing itself from any Algerian influence.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.30.12.1.2023.22

العلاقات التونسية الجزائرية بين الوصاية والسلم والحرب ١٧٨٢-١٨١٣

م.د. معاد إبراهيم محمد ياسين/ جامعة تكريت _ كلية التربية للبنات _ قسم التاريخ

م.د. رشا عبدالصمد أسماعيل هلال/ جامعة تكريت _ كلية التربية للبنات _ قسم التاريخ

الخلاصة:

كانت العلاقات بين تونس والجزائر منذ نشوء الدولة الحسينية في تموز عام ١٧٠٥ تقوم على أساس وجود نفوذ جزائري سياسي وعسكري على تونس ، كون الجزائر أسهمت في دعم وتأسيس الدولة الحسينية ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تونس تؤدي الضريبة السنوية للجزائر وفي حالة الامتناع فأنها تعرض

نفسها لحملة عسكرية أو دعم عسكري لأحد أبناء الأسرى الحسينية المقيم فيها والمعارض للباي الحاكم في تونس وبالتالي فان الاضطرابات وزعزعة نظام الحكم في تونس ستكون ناتج موضوعي لهكذا معادلة ، وبعد أن تسلم حمودة باشا الحكم في تونس عام ١٧٨٢ اصبح هدفه الأول أن يتخلص من الهيمنة الجزائرية على تونس التي كانت قائمة منذ سبعة عقود فاتخذ مسارين في التعامل الأول سياسي لأثبات قوة تونس في أكثر من مناسبة ولكسب الوقت لإستكمال قوة جيشه والثاني عسكري فاخذ يطور الجيش التونسي من خلال تطوير صنوفه وصناعة وتطوير الأسلحة للاستعداد لمواجهة أي هجوم جزائري لأنه قد قرر أن يمتنع عن دفع الضريبة السنوية للجزائر وان يجعل تونس مستقلة في قرارها بعيداً عن إي نفوذ جزائري، وبعد حروب عدة بين الطرفين تكللت حرب عام ١٨١٣ بانتصار الجيش التونسي على الجيش الجزائري وتدخل وساطة الدولة العثمانية لإنهاء المواجهات العسكرية بين الطرفين ، وبذلك انتهى نفوذ الجزائر على تونس وأصبحت تونس بعيدة عن أية نفوذ جزائري .

الكلمات المفتاحية :تونس ، الجزائر ، الجيش ، باي ، باشا ، الحدود

المقدمة

إن دراسة العلاقات بين الدول مهمة في التاريخ أياً كان نوعها لأنها تبحث في العناصر والعلاقات التي تربط بين الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تختلف من مدة تاريخية إلى أخرى تبعاً للتطورات والمستجدات التي تطرأ على الساحة الدولية ، فمصطلح العلاقات الدولية هو رصد كافة الاتصالات بين الدول وحركات الشعوب والأفكار والسلع عبر حدود وطنية وبالتالي فأن العلاقات بين الدول تعكس كافة صور المبادلات التي تجري بين الأطراف المختلفة .

اتسمت العلاقات التونسية الجزائرية بالتوتر بسبب كثرة الحروب الدائرة بين الجيشين واتسمت في مرات عديدة بالسلم والتعاون المتبادل بينهما ،

أما الأسباب التي كانت وراء اختيار الموضوع وهي لقلة الدراسات المتعمقة في هذا الموضوع إذ أن العلاقات بين تونس والجزائر أتسمت بعلاقات سياسية واقتصادية نشطة في حقبة تاريخية مهمة فضلاً أن البلدين كانت لهم علاقات وطيدة مع الدولة العثمانية إذ أن الأخيرة كانت تعتبرهم إيالات تابعة لها في شمال أفريقيا. أما اختيار مدة البحث ما بين المدة ١٧٨٢– ١٨١٣ فكان العام ١٧٨٢ تسلم حمودة باشا الحكم في التونس الذي أسس لسياسة طويلة المدى للتخلص من الهيمنة الجزائرية إذ عززها بتطوير الجيش التونسي تكللت هذه السياسة عام ١٨١٣ بانتصار الجيش التونسي في الحملة البرية على أثر ذلك انتهت هيمنة النفوذ السياسي والاقتصادي لدايات الجزائر على تونس التي كانت مفروضة منذ تأسيس الدولة الحسينية في يوم ١٣ تموز عام ١٧٠٥ .

تمهيد :الأوضاع العامة في تونس ١٧٥٩-١٧٨٢

تولى علي بن الحسين الحُكم في تونس للمدة (١٧٥٩-١٧٨٢)(الفونص روسو،١٩٩٢ ، ص١٧١-١٧٥) فقد واجه بداية عهده اضطرابات استمرت لثلاث سنوات بسبب تمرد قاده أحد أفراد العائلة الحسينية ، ثم بعدها عاد الازدهار إلى تونس واهتم بالزراعة وأعاد تنظيم الجيش وفتح الباب أمام التجارة الخارجية وشهدت تونس في عهدهِ استقراراً في جميع المجالات وخاصة أتباعه سياسة سلم مع الجزائر وذلك بالتزامه بدفع الضريبة السنوية إلى دايات الجزائر ووصف المؤرخون بالإجماع مدة حكم علي بن الحسين بالعصر الذهبي من حيث الاستقرار السياسي(Narcisse Faucan،1893، P.167) إذ قام بإرضاء أبناء أخوه(محمد الرشيد١٧٥٦-١٧٥٩) كل من إسماعيل بن محمد ومحمود بن محمد بالتخلي عن الحكم له، وكان ذلك التنازل قد أسهم إلى حدٍ كبير في الاستقرار السياسي والسلم الأهلي الذي أفرز نمواً ورخاءً اقتصادياً في تونس في تلك المدة (الفونص روسو،١٩٩٢ ، ص١٧٥-١٧٦).

المحور الأول : سياسة حمودة باشا تجاه الجزائر ١٧٨٢- ١٨٠٠

بعد وفاة علي بن الحسين في ٢٦ آيار عام ١٧٨٢ أصبح أبنه حمودة باشا بایاً على تونس(رشاد الإمام،١٩٧٩،ص ٦٨-٧٣) وأصبح يسير على نهج السياسة التي انتهجها والدهُ من قبلهِ تجاه الجزائر وهي تجنب ما يثير سخط الجزائريين وتقديم الضريبة السنوية والهدايا للتقرب لداي الجزائر وللشخصيات العليا واقدم حمودة باشا على أنتهاج سياسة التقرب بعدة خطوات أبرزها تقديم الهدايا للجزائر التي تتضمن أموال نقدية ومؤونة غذائية وأجود أنواع الأقمشة (عزيزي،٢٠١٢، ص٢١٧-٢١٩)، فضلاً عن ذلك قام حمودة باشا بإكرام مبعوثي الداي الجزائري الذين يقدمون إلى تونس بمهمات خاصة حيث كان حمودة باشا يتكفل بمصاريفهم من خلال ضيافتهم الطويلة في تونس وكان يتكفل بمصاريف مؤونتهم وتجهزيهم عند رجوعهم للجزائر(الفونص روسو،١٩٩٢ ، ص١٧٥-١٧٦) ولم تقتصر سياسة حمودة باشا على هذين المسارين ، بل شملت كذلك إيواء عدة شخصيات قبلية وشيوخ زاويا جزائريين الذين كانوا يستقرون في تونس لتعلم العلوم الدينية ، كما أستمرت سياسة حمودة باشا في إكرام الجزائريين الوافدين إليها من الجزائر أو للجزائريين العائدين لبلدهم عبر تونس ، حيث كانت تونس على طريق الحجاج الجزائريين ذهاباً وإياباً(رشاد الإمام،١٩٧٩،ص ٣٨٦) كما شهدت العلاقات التونسية الجزائرية مع بداية تولي حمودة باشا لعرش تونس هدوءاً نسبيا ، إلا أن هناك أمور استجدت وأصبحت هناك العديد من القضايا التي طفت على السطح ، في العلاقات بينهما (عمار بن خروف، ١٩٩٦، ص ٣٩٢) .

أولاً: الأزمة التونسية – الجزائرية ١٧٨٣- ١٧٨٧:

تعود أسباب تلك الأزمة إلى تمرد قبيلة تونسية في زمن علي باي والد حمودة باشا ، وهربت تلك القبيلة وعبرت الحدود التونسية الجزائرية باتجاه الجزائر ،واستقرت في مدينة قسنطينة الجزائرية ، وبعد تولي حمودة باشا عرش تونس بسنة ونصف تقريباً وتحديدا في تشرين الثاني١٧٨٣ , أوعز داي

الجزائر محمد عثمان إلى صالح باي حاكم قسنطينة ، لمطالبة حمودة باشا بتعويض على ممتلكات وخسائر وأتعاب تلك القبيلة التونسية المقيمة في قسنطينة ، على إثر ذلك أرسل حمودة باشا مبعوثاً إلى حاكم قسنطينة وابلغه أن القبيلة التونسية لم تعد تتبع تونس ، بل أصبحت تتبع للجزائر تحت إدارة حاكم قسنطينة ، بالمقابل طالب حاكم قسنطينة بتعويض مبلغ مالي كبير قدره (٤٠٠٠٠) ريا ل بندقي ، بعد أن عاد مبعوث حمودة باشا وأبلغه بمبلغ التعويض أسرع حمودة باشا بإرسال كتاباً إلى داي الجزائر يهدده بقطع العلاقات فيما لو ساند موقف حاكم القسنطينة (رشاد الإمام،١٩٧٩،ص٣٨٦-٣٨٧)، في الوقت نفسه أتخذ حمودة باشا تدابير عسكرية كإجراء احترازي ، كي لا تباغته الأحداث فيما لو هوجم من قبل الجزائر كما كان يحصل سابقا ، ولم يكتفي عند هذا الحد ، بل قام بجولة عسكرية في معظم المقاطعات التونسية وخاصة المتاخمة للحدود الجزائرية ،وخلافاً لما كان متوقعاً أرسل حاكم قسنطينة صالح باي وفداً مجموعة من الضباط ومعهم هدايا وهي عبارة عن خيل ثمينة ، ليتفاوضوا مع حمودة باشا بحل النزاع سلميا وتعويض القبيلة التونسية المقيمة في الجزائر (الفونص روسو،١٩٩٢ ، ص١٧٦) رأى حمودة باشا أن الحل السلمي لا مناص منه لاسيما وأنه صاحب مشروع للنهضة بتونس وأن إي حرب ستكون بمثابة نتوء يقف في طريقه ويقوض مشروعهُ , فقبل في التفاوض ورجع إلى العاصمة تونس ، وتفاوضوا على تخفيض المبلغ إلى (٢٥٠٠٠) ريا ل بندقي وتم تم دفع المبلغ من قبل حمودة باشا إلى القبيلة التونسية القاطنة في قسنطينة في حزيران ١٧٨٤ ، وذلك تفادياً للحرب مع الجزائر (الزهار ،١٩٨٠،ص١٦٥).

طفت على السطح أزمة أخرى بعد ثلاث سنوات من السلم والوئام بين تونس والجزائر ففي عام ١٧٨٧، إذ اتهمت الجزائر تونس بأنها أوت داخل الحدود التونسية عدداً من سكان مدينة قسنطينة الذين هربوا من وجه القضاء الجزائري ، إذ أشتكى حاكم قسنطينة صالح باي برسالة إلى داي الجزائر ، يشتكي فيها من باي تونس حمودة باشا واتهمه بانه يقوم بتشجيع المطلوبين للقضاء وأنه يقوم باستقبالهم ، فضلاً عن ذلك مسألة فرار أحد أحفاد الحاكم الأسبق لتونس علي باشا إلى الجزائر وهو الأمر الذي كان حكام الجزائر يحتفظون به لجعله ورقة ضغط ضد حكام تونس كلما لاح في الأفق شبح المواجهة وأصبح قريب ، أمام تلك المعطيات قام باي القسنطينة بالقيام بحملة ضد تونس بإيعاز من داي الجزائر وقام بتحشيد ما يقارب ستة ألاف عسكري ، للهجوم على تونس لإخضاع حمودة باشا لشروط جزائرية جديدة ومحاولة تحجيم نفوذه، وبعد أن علم حمودة باشا بهذه الحشود الجزائرية قام بإعداد محلة كبيرة للتصدي للجيش الجزائري بهدف الحاق الهزيمة به ، أمام هذا التحشيد للطرفين اضطر حمودة باشا إلى التفاوض مع الجزائريين وإرضائهم بمبلغ من المال بهدف تجنب المواجهة العسكرية، إذ كان في تلك المدة بدأ الجيش التونسي في المراحل الأولى من تكوينه وتطويره فأراد حمودة باشا تجنب المواجهة المباشرة مع الجزائر بهدف الحفاظ على ديمومة التطور في صنوف الجيش التونسي فكانت بدايات حكمه مرحلة سلم وصلح مع الجزائر والابتعاد عن أية مواجهة (محمد حلوان،٢٠١٥، ص٨٢) .

ثانيا: موقف الجزائر من حملة حمودة باشا على طرابلس : ١٧٩٣ -١٧٩٥:

تولي الداي حسين باشا (١٧٩١ – ١٧٩٨) منصب الداي في الجزائر خلفا للداي محمد عثمان باشا إذ استمرت العلاقات السلمية بين إيالة الجزائر وتونس. لأن الداي الجديد كان يرغب في استمرار السلم مادامت تونس ملتزمة بدفع الضريبة السنوية والهدية إلى الجزائر، فاستمرت تونس في الانصياع لمطالب الجزائر. ، ذلك أن حمودة باشا ما كاد يخرج في حربه ضد البنادقة في سنة ١٧٩٢ حتى وجد نفسه في حرب أخرى ضد طرابلس ما بين ١٧٩٤- ١٧٩٥(عمر علي ،٢٠٢٢،ص٢١-٢٣).

في تلك الأثناء تمكن أحد القادة الترك وهو علي برغل في عام ١٧٩٣ من الاستيلاء على إيالة طرابلس فجأة، وذلك بعد تسليحه من حسابه الخاص لأسطول صغير حشد فيه قوات جندها من سواحل آسيا الصغرى، ثم تقدم على رأس تلك القوات نحو مرسى مدينة طرابلس. حيث أشاع العملاء السريون الذين كان قد حثهم فيها بأن ذلك الأسطول قد أرسل من قبل السلطان العثماني للمجيء بباشا جديد عينته ألاستانة مكان علي القرمانلي المسن . فارتعب هذا الأخير خوفا من المخاطر التي أصبحت تهدد حياته (عمر علي ،٢٠٢٢،ص٤٨-٤٩) ، فما كان منه إلا أن فر على جناح السرعة إلى تونس حيث أن علي برغل تمكن من الاستيلاء على طرابلس بدون قتال، وحين سمع الداي حسين. باستيلاء علي برغل على طرابلس أرتعب من تطور الأحداث ، لأن علي برغل كان وكيل للدولة العثمانية في الجزائر قبل مغادرتها إلى إسطنبول، ومكث في الجزائر فترة طويلة، فما كان من الداي حسين إلا أن يكتب لباي تونس حمودة باشا تونس آمرة إياه بالتحرك لطرابلس، ووعد إياه بمساعدته بما يحتاج (العامري ،١٩٧٤، ص١٧٤) ، وكان حاكم طرابلس علي القرماني المبعد قد استعان بباي تونس حمودة باش(عمر علي ،٢٠٢٢،ص٥٨-٦٠) وبرغبة هذا الأخير في التخلص من جار مزعج بعدما أصبح يهدد أقاليمه من خلال احتلاله لجزيرة جربة، فخرجت حملة عسكرية من تونس وذهبت إلى طرابلس، وتم استعادة حكم الأسرة القرمانلية وعاد عساكر الحملة العسكرية إلى تونس منتصرين ، ولما بلغ خبر هروب علي برغل لمصر، كتب الداي حسين باشا رسالة إلى حمودة باشا يشكره على فعله(العامري ،١٩٧٤، ص١٧٤-١٧٦).

شكلت الحملة العسكرية التونسية ، دافع معنوي كبير لحمودة باشا ويبدو أن نجاحه هذا في أعاد الحكم إلى الأسرة القرمانلية بطرابلس الغرب يكون قد أستعرض قوته العسكرية خارج الحدود التونسية. كما بعث بذلك برسالة قوة إلى حكام الجزائر الذين يتربصون به منذ أمد بعيد، وفي نفس الوقت ليكون مستعداً لأي حرب قد تحصل في المستقبل مع الجزائر.

حين تولى حمودة باشا العرش التونسي في سنة ١٧٨٢م وجد نفسه أما رغبتين تتعلقان بسياسته المستقبلية مع الجزائر . الرغبة الأولى : وصية أبيه التي تقول :" **إن موارد تونس تشبه الرغيف من الخبز يقسم على أربعة قطع تؤخذ منها واحدة، وتعطي للجزائريين القطع الثلاث الأخرى، وذلك حتى**

يمكن العيش مع أولئك الأقوام الجزائريين المضطربين المرعين". والرغبة الثانية هي رغبة حكام الجزائر في أن يبدؤا معه من حيث انتهوا مع أبيه، غير أن حمودة باشا كان ينوي أن يغير سياسته الخارجية اتجاه الجزائر فكان يهدف إلى التخلص من الهيمنة الجزائرية لذلك أرتأى لنفسه سياسة حذرة تقضي عدم التصادم في أوقات غير مناسبة واتبع سياسة تهدف إلى تدعيم سيادة تونس واستقلالها عن الجزائر ومن أبرز تلك السياسات.(الحبيب بولعراس،٢٠١٥،ص١٢٠-١٢١).

ثالثاً : بناء التحصينات العسكرية :

ركز حمودة باشا على تحصين تونس عسكريا استعدادا لأي حرب طارئة قد تندلع مع الجزائر، وفي نفس الوقت الاستعداد للتخلص من الهيمنة الجزائرية المفروضة على بلاده منذ عام ١٧٠٥، ومن تلك المقرات العسكرية التي أقامها حمودة باشا معمل لصناعة البارود عام ١٧٨٧ في تونس العاصمة. ومصنع أخر لصناعة القذائف المدفعية في تونس العاصمة عام ١٧٩٥، ومصنع أخر لصناعة المدافع (رشاد الإمام ،١٩٧٩،ص٢١٥-٢١٦) وإقامة أبراج للمراقبة كبرج مدينة جربة الذي أسسه في ١٧٩٥، وآخر في حلق الوادي في ١٧٩٧، وإقامة الأسوار أبرزها سور مدينة تونس وقبل ذلك شروعه في إقامة سورين أحدهما في باب سويقة والأخر في باب الجزيرة وذلك منذ سنة ١٧٩٧(رشاد الإمام ،١٩٩٨، ص٧٧).

رابعاً : الزيادة في عدد الجند

منذ وفاة على باي في تونس وتولي ابنه حمودة باشا الحكم على العرش التونسي عام ١٧٨٢ عمل الأخير على الإكثار من الجند الأتراك الذين تناقص عددهم في عهد والده بحيث بات لا يتجاوز الألفين ، فبدأ عهد حمودة باشا في التزايد حتى أصبح ٩٠٠٠ جندي في عام١٨١١ بعد أن أتبع سياسة جديدة وهي تقوية الجيش بعناصر معظم أفرادها تونسيين من خلال العمل على توطيد التشكيلات التونسية التي كانت موجودة، وتقويتها والاعتماد عليها بدل جند الترك، وقد نفذت هذه السياسة في عهد حمودة باشا على أكمل وجه(رشاد الإمام ،١٩٧٩،ص١٩٠-٢٠١) وقد طبقت هذه السياسة في وحدات عديدة من أقسام الجيش وحتى في قسم المتطوعة(لطفي بوعلي ،٢٠١٩، ص٢١-٢٣) ومن ذلك أنه وجه عنايته بكل من الحوانب، والصباحية(محمد بيرم الخامس ،١٩٨٩، ص١٣٢-١٣٣) ، والمزارقية (محمد بيرم الخامس ،١٩٨٩، ص١٣٣) ، فقربهم إليه وأصبحوا قوة جديرة بالتقدير، كما اهتم حمودة باشا أيضا بعسكر زواوة ورجال المخزن (الضياف ،١٩٩٩، ص٨٥)، الذين كانوا هيئة غير نظامية من عسكر الخيالة. واهتمامه بتشكيلات أخرى كالكراغلة (رشاد الإمام ،١٩٩٨،ص٢٠٣-٢٠٥)

كان هذه القوة المتزايدة لتونس ، جعلت من القنصل البريطاني كلارك(Clark) يعلق قائلا عليها: " **إن الجزائريين يحسدون قوة تونس المتزايدة في مختلف الميادين العسكرية، وأخم باستمرار يقدمون استفهامات للباي حول قوته المتنامية بسرعة، غير أنه يظهر أنه غير مستعد للامتثال والرضوخ**

وكذلك لاحظ المبعوث الفرنسي إلى تونس هيركوليس(Hercules) تزايد قوة الباي حمودة باشا قائلا :" **إن باي تونس يعد للحرب ضد الجزائر بهدف التحرر من نيرها ومن سيادة الداي عليه**"(رشاد الإمام ،١٩٧٩،ص٣٩٢) .

المحور الثاني : محاولات باي تونس للتخلص من هيمنة الجزائر :

حتى عام ١٨٠٦ كانت الأمور طيبة مع حمودة باشا كثيرا في الكيفية التي عالج بها النزاعات التي كانت تنشب بينه وبين الدول الأوروبية وما أوجده لها من حلول، فكان فخوراً بالسياسة التي كان يتبعها مع حكومات هولندا والسويد و الدانمرك وإسبانيا و الولايات المتحدة الأمريكية . وكان يشعر بالثقة فيما كان يتمتع به من سلطة نافذة، بيد أنه كان يشعر في الوقت نفسه بإذلال جارح من قبل إيالة الجزائر، التي كانت تلح دائماً في مطالبها دوما، والمتسمة في علاقاتها مع التونسيين بالازدراء والاستخفاف ، وكانت بعض الشروط التي فرضتها الجزائر على إيالته تثير في نفسه غبنا كبيراً(سعيدوني ،١٩٨٨،ص١٧١) ، أرغمته على دفع الضريبة السنوية وإرسال شحنتين من زيت الزيتون سنوياً إليها كانت تخصص لإنارة مصابيح مساجد الجزائر، وهو تقليد يعود إلى عام ١٧٥٦(الزهار ،١٩٨٠،ص٨٥) ، ومنها إلزام دايات الجزائر إيالة تونس بتقصير طول أعلامها عند رفعها على مباني المدن والمعسكرات والحصون والقلاع التونسية، وقد أجبرت تونس على هدم تحصيناتها القائمة على حدودها مع الجزائر. وهي التحصينات التي أنشئت في سنة ١٧٥٦م بين الإيالتين (حصام حورية ، ٢٠١٣، ص ٥٦-٥٨) .

أولاً : حرب عام ١٨٠٦ بين تونس والجزائر

حصل تحول جذري في سياسة حمودة باشا تجاه نظام دايات الجزائر إذ أصبح منذ عام ١٨٠٤ يظهر رغبة في الاستقلال عنه، لكن دون العمل على استفزاز دايات الجزائر ودون التخلي عن سياسة التسليح والإعداد لحرب متوقعة مع الإيالة الجارة، فبعدما نجح في استمالة باي قسنطينة مصطفى أنجليز(جوليان ،١٩٧٨،ص٩٩-١٠٢) ، ودعمه لإبن الأحرش وتحريضه على الثورة ضد الحكم القائم في الجزائر، شرع حمودة باشا عندما أحس بقدرته على مجابهة النظام الجزائري في التحضير للحرب، فثار على مبعوث الجزائر الذي حل بتونس لتبليغه الرسالة الرسمية من داي الجزائر في قضية منطقة الجريد ويطرده من مجلسه قائلا له : "**لولا أنك رسول والرسل لا تقتل لقتلتك، ولكن اليوم إن لم تخرج من البلاد لأقتلنك** " وأمر بإخراجه من دار الضياف وبعد ذلك عزل وكيل الجزائر ثم أطلق الباي حمودة باشا لسانه في شتم الجزائريين وأمر الحكام العاديين وقضاة تونس بالحكم في حق الجزائريين مثلهم مثل سائر الناس بعدما كان لهم قضاة خاصون بهم (الإمام رشاد، ١٩٧٩، ص ٣٩٣)

ومما زاد من غضب داي الجزائر على حمودة باشا، هو إقدامه على إيواء مصطفى أنجليز باي قسنطينة المخلوع برفقة ابنه علي ووعده بالإعادة لولايته ما زاد في إغاضة داي الجزائر، وكان

رد فعله هو إرسال المزيد من البقر والمواشي لتباع في تونس بأسعار عينها الداي الجزائري مسبقاً وكان ذلك بصيغة صريحة في الإمرة على غير الأسلوب الذي أعيد منهم من لطف الخطاب (سعيدوني، ١٩٨٨ ،ص ١٧١) ، فأنف حمودة باشا من تلك الأهانة وجمع رجال دولته واستشارهم وتم الاتفاق على أمرين الأول هو إرجاع الحاج مصطفى أنجليز(سعد الله أبو القاسم ،١٩٩٨، ص ١١٢) محل ولاية قسنطينة والأمر الثاني هو : بيع البقر الجزائري في السوق بشهادة عدلين وكذلك أن لا يمنع أحد من بيع بقرة في خلال المدة ويورد ابن أبي الضياف في كتاب الأتحاف رد حمودة باشا على داي الجزائر فيما يتعلق ببيع البقر الجزائري قائلا (الزهار،١٩٨٠، ص٨٥) "**إن البقر أمرنا بيعه على يد عدلين ويجمع من ثمنه كذا وتولى قبضه رسولكم بأمرنا، وإن أرسلتم بعده شيئا للبيع فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم، وحاله في ذلك كعامة أهل البلد من غير فرق**" (سعد الله أبو القاسم ، ١٩٩٨ ، ص١١٤)

بعد هذه الحادثة أمر حمودة باشا بقطع جميع أنواع الهدايا والعطايا التي كانت تقدم إلى داي الجزائر، وأوقف النفقات التي كانت تصرف للجزائريين بتونس(الزهار،١٩٨٠، ص٨٥) ، ليس هذا فقط بل أمر برفع راية تونس عالية فوق القصبة بالعاصمة، وخاصة على الحدود التونسية الجزائرية، وفي كل مكان، كما أمر بالكف عن إرسال شحنات زيت الزيتون إلى الجزائر، وكان هناك ثلاث ملابسات كان لها الدور الرئيسي في التعجيل نحو القطيعة بين الإيالتين، فقد كان لبعض الرعايا التونسيين مراسلات سرية مع باي قسنطينة فوقعت رسالة منها كان قد بعثها إليه أحدهم في يد حمودة باشا وكان فحواها أنه كان يجري تدبير مؤامرة خفية هدفها تأليب عدد كبير من قبائلها ودفعها إلى خلع طاعته والدخول في طاعة جاره داي الجزائر (سعد الله أبو القاسم ، ١٩٩٨ ، ص١١٧) ، وتم في الحال القبض على المتآمرين وصدر الأمر لمتسلمي قسنطينة بمغادرة تونس حالا، ولم يلبث أن أعقب هذا التصرف الحازم إحداث زيادة كبيرة في أعداد قوات الجيش التونسي، وهو إجراء تم اتخاذه بناءاً على نصيحة باي قسنطينة السابق الحاج مصطفى انجليز. والذي تعهد باستمالة جانب كبير من سكان قسنطينة. ودعوتهم إلى العمل تحت راية حمودة باشا. بمجرد قيام القوات التونسية باختراق حدود هذه المقاطعة الجزائرية، ثم اتخذت خطوة أخرى تمثلت في تحسين دفاعات مدينة تونس ومرسى حلق الوادي، وتزويد مدينة الكاف بما يكفي من قطع المدفعية، ومما زاد في غضب داي الجزائر ، أمام الوضع المتأزم في الجزائر، والاضطرابات في الغرب الجزائري والمجاعة في الشرق اكتفى الداي أحمد في بادئ الأمر بأن أرسل إلى باي قسنطينة القيام بغارات على المناطق المجاورة للحدود مع تونس (أبن العطار ،٢٠١١،ص١٥) والذي طور الأحداث هو ذلك الأمر الذي أصدره حمودة باشا بتطبيق عقوبة الضرب بالفلقة على عدد من الرعايا الجزائريين، وكان هؤلاء ينتمون إلى عمالة قسنطينة ويعملون في تجارة القوافل ، وذلك لمبالغتهم في إساءة معاملة البدو التونسيين عند اجتيازهم للسواحل التونسية بقوافلهم (رشاد الإمام ، ١٩٧٩، ص٣٩٥).

عدّت الحكومة الجزائرية هذه التصرفات إهانة لها فأعلنت على الفور الحرب على حمودة باشا، إلا أن داي الجزائر أحمد خوجة كان مشغولا بالاضطرابات التي اندلعت في "وهران" وبالمجاعة التي تعرضت لها قسنطينة عندما بلغت العلاقات بين البلدين ذلك الحد من التوتر جمع حمودة باشا رجال دولته ووقع نقاش فيما يجب عمله بشأن الجزائر، واتحدت الكلمة أخيراً على وجوب القتال. فقرر القطيعة مع الجزائر، ثم أمر جميع الجزائريين بالعودة إلى بلدهم، وكان هدفه من وراء تلك القطيعة هو تثبيت استقلالية بلاده، ووضع تونس في مأمن من غزو خارجي (سعد الله أبو القاسم ، ١٩٩٨ ، ص١١٨-١٢٠)

مجريات الحرب :

اندلعت الحرب بين الجزائر وتونس عندما ضربت ٦ بوارج بحرية جزائرية ميناء حلق الوادي وغلقته، ومنعت تحرك الأسطول التونسي التجاري والحربي وأوقفت كل نشاط تجاري خارجي لتونس، قبل ذلك كان داي الجزائر أحمد قد أوعز إلى باي قسنطينة عبد الله باحتلال تونس. فزحف حتى أسوار مدينة الكاف. مما أثار غضب حمودة باشا (رشاد الإمام ، ١٩٧٩، ص٣٩٥).

تمكنت البحرية الجزائرية بقيادة الرايس حميدو(علي تابليت ، ٢٠١٦، ص٢-٣٥) ، من غنم ثلاث سفن تونسية بما فيها، وإقامة حصار على ميناء تونس وهو ميناء حلق الوادي خلال كانون الثاني وشباط من عام ١٨٠٧(رشاد الإمام ، ١٩٧٩، ص٣٩٥) ، فكان رد فعل حمودة باشا أن عجل بتحريك حملته نحو الحدود الجزائرية التونسية، ووصلت قسنطينة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٠٧م تحت قيادة وزيره سليمان كاهية الكبير، وكانت حملة ضخمة تكونت ما يقارب من ٤٠.٠٠٠ رجل من الأتراك، والمخازنية، والحوانب، وقبيلة دريد وفرسان من قبائل أخرى حاصرت قسنطينة وتمكنت في البداية من هزم قوات حاكم قسنطينة وإجبارها على الفرار، وفي تلك الأثناء كان جيش قسنطينة يتألف ما يقارب ٣٠٠٠-٤٠٠٠ جندي نظامي يقوده حاكم قسنطينة (رشاد الإمام ، ١٩٧٩، ص٣٩٥).

كانت البوادر الأولى تدعو إلى أن النصر سيكون حليف الجيش التونسي، ومن دلائل ذلك ارتفاع الروح المعنوية بين القوات التونسية، وضخامة عددها، وما أبداه أعراب عمالة قسنطينة من استعدادهم لمؤازرتهم، فضلا عن سوء الوضع الدفاعي في قسنطينة ، ونظراً لأن بعض قبائل قسطنينة ، كانت قد وعدت التونسيين بالانضمام إلى قوات حمودة باشا، وتمكن الجيش التونسي في البداية من تحقيق نصراً في معركة سطح المنصورة في ٣١ أذار ١٨٠٧ ،بعدها استمر حصار قسنطينة من قبل الجيش التونسي مدة شهرا كاملا (العنتري،٢٠٠٧،ص٨٨)؛(الزهار ، ١٩٨٠، ص٩٦-٩٧) ، وكان سليمان كاهية الكبير أثنائها يطلب المدد من تونس ولا سيما المدفعية الثقيلة التي كانت تنقصه وتلزمه لإحداث ثغر في سور مدينة قسنطينة، وقد استجاب الباي حمودة باشا لطلبه فأرسل إليه عدداً من الجند والمعدات

العسكرية التي تستخدم في المعركة كما و أرسل مصطفى أنجليز الباي السابق لقسنطينة. على أمل الاستفادة من العناصر الموالية له في مدينة قسنطينة، لكن النتيجة كانت عكس ما أراده، حيث تسبب وجود مصطفى أنجليز ضمن الحملة التونسية في فشل التونسيين، ذلك أن قادة الجيش التونسي الذين تبخر حلمهم في رؤية شخص واحد منهم يتسلم الحكم في قسنطينة وبقدوم مصطفى أنجليز إلى قسنطينة تخاذلوا عندما رأوه وأنهم علموا بطبيعة الحال بأنه في حالة الانتصار سيكون مصطفى أنجليز هو المستفيد "، واعتقادهم أن باي تونس بعثه لتسلم الحكم من جديد فيها لما وعده بذلك. فكان كل قائد يفكر في الانسحاب عقب أول هزيمة أو فشل، وانتقل التذمر إلى كل الجيش التونسي ،وعلى الرغم من ذلك قرر سليمان كاهية استعمال المدفعية الثقيلة المرسلة إليه ضد قسنطينة، لكن وقبل ذلك علم بقدوم مدد هام إليهم من الجزائر يتألف من حملتين الأولى على طريق البر بقيادة الأغا أحمد والثانية عن طريق البحر أنزلتها السفن في عنابة ثم توجهوا برا نحو قسنطينة(عمار بن خروف ،١٩٩٦، ص٤٣٣-٤٣٤).

أمام هذه التطورات وجد قائد الجيش التونسي نفسه مجبرا على صد المدد القادم ضده من الجزائر، والذي وصل قسنطينة في يوم الجمعة ٢٢ نيسان ١٨٠٨(الضياف ،١٩٩٩، ص٣٩-٤٠) وتقابل الجيشان في اليوم التالي فوقع قتال عنيف بين قوات الإيالتين. ليصفها سليمان كاهية قائد الحملة التونسية بقوله : " **حتى فاضت أعين الناس دموعا** " (عمار بن خروف ،١٩٩٦، ص٤٣٥-٤٣٦) ، فكانت الهزيمة في اليوم الأول من نصيب الجزائريين ، وفي اليوم التالي انهزمت الحملة التونسية فكانت النتيجة الهزيمة الساحقة لعساكر حمودة باشا فأجبروا على مغادرة معسكرهم مخلفين وراءهم مدفعيتهم وعتادهم الحربي . ذلك العتاد الذي قضى حمودة باشا سنوات عديدة في صنعه وتجميعه(رشاد الإمام ،١٩٧٩، ص٣٩٦).

كان من نتائج المواجهة الأولى بين الجيش التونسي والجزائري خسائر كبيرة في الأرواح فتمكن الجيش الجزائري من أسر ما يقارب بين (٥٠٠- ٦٠٠) رجل من الجيش التونسي فيهم المستسلم وفيهم الجريح (لطفي بوعلي ،٢٠١٩،ص٧٧-٧٨)، أما بالنسبة لعدد القتلى فلم تمضي أيام على هزيمة التونسيين حتى وصلت إلى مدينة الجزائر قافلة ما يقارب أربعين بغلاً فيها أحمال مملوءة بأذان القتلى التونسيين كرمز للغلبة وتذكار للنصر ، كما تعرض الجزائريون إلى خسائر كبيرة لاسيما في معركة سطح المنصورة(سعيدوني ،١٩٨٨،ص١٧٥-١٧٦) وكان من نتائج المواجهة العسكرية غنم الجزائريون معظم عتاد الجيش التونسي والذي قضى حمودة باشا سنوات عديدة في صنعه وتجميعه ، وقد غنم الجزائريون في هذه الحملة المدافع والخيل والإبل(رشاد الأمام ، ١٩٧٩، ص٣١٦)

تمكن الجيش التونسي من أسر أعداد غير قليلة من الجيش الجزائري غالبيتهم أصلهم من الأتراك وقد تم ضمهم للجيش التونسي وقد عزم التونسيين على قيادة حملة جديدة وإرسالها إلى مدينة الكاف

لمواجهة أي هجوم جزائري ، بالمقابل بدأ حمودة باشا يستخدم السياسة لمواجهة إي هجوم جزائري أخر محتمل وطلب من الأسطول البرتغالي بحماية شواطئ تونس من هجوم الأسطول الجزائري(أورين راي ،١٩٨٤،ص٦٦-٦٨)؛(الضياف ،١٩٩٩،ص٤٣).

ثانياً: الحرب الثانية بين تونس والجزائر ١٨٠٧:

بعد الحرب الأولى التي انتصر فيها الجيش الجزائري على الجيش التونسي قام حمودة باشا خلال مدة قصيرة بتجهيز جيش قوامه ما يقارب(١٨٠٠٠) مقاتل من زواوة، والأتراك، وذلك للثأر من الجزائر بعد هزيمة جيشه في الحرب الأولى أمامها، وقرر الذهاب بنفسه على رأس جيش تونسي جديد، غير أن مستشاره العسكري عارضه في ذلك واقنعه بوجوب البقاء في تونس(رشاد الأمام ،١٩٧٩،ص٣٩٦-٣٩٩) ، عندئذ قرر إسناد القيادة العليا لوزيره يوسف صاحب الطابع الذي تقرر أن يتحمل مسؤولية القيادة العليا للجيش(سعيدوني ،١٩٨٨،ص١٧٩) وفي الجهة المقابلة جهز الداي الجزائري أحمد حملة كبيرة أسند قيادتها لابن أخيه الأغا حسن، ثم بعث إلى باي قسنطينة صالح باي بتجهيز حملته(الزهار ،١٩٨٠، ص٩٧) والتقى الجيشان في الموقع المسمى " سلاطة" على واد سراط(أورين راي ،١٩٨٤،ص٧٠) في١٢ تموز عام ١٨٠٧ في معركة عنيفة، كاد النصر أن يكون من نصيب القوات الجزائرية ،وقد تمكنوا من رد التونسيين حتى أوصلوهم إلى محلتهم(الضياف ،١٩٩٩،ص٤٨) ، إلا أن تزايد المدفعية التونسية أرغمهم الجزائريين بالتقهقر نحو محلتهم أيضاً وبعد يوم واحد من الاستراحة تجدد القتال بين الطرفين وفي يوم ١٤ تموز ١٨٠٧،لاحظوا الجزائريين عند مغيب الشمس أن قسماً من فرسان حمودة باشا أخذوا مكانا على الجبال بقيادة سليمان كاهية، فاعتقدوا أنهم سوف يقومون قبل حلول النهار بتطويقهم، مما جعلهم ينسحبون إلى بلادهم على عجل تاركين أثقالهم وأمتعتهم(عمار بن خروف ،١٩٩٦،ص٤٤١) دون أن يكتشف التونسيون أمرهم إلا في أخر الليل، واستشار فرسان العرب يوسف صاحب الطابع بتتبع الهاربين فمنعهم من ذلك(الضياف ،١٩٩٩،ص٤٩) وفي الصباح استولوا على أثقال الجزائريين، ولم يعد الجزائريون وقد هزموا شر هزيمة دون يلقون بالاً لأوامر قوادهم، وأخذوا في مواصلة فرارهم عبر الجبال على أمل الإفلات من مطاردة التونسيين لهم، غير أن متعقبيهم هؤلاء سرعان ما لحقوا بهم وقد نفذت مؤونتهم وذخيرتهم، فاضطر البعض منهم إلى الاستسلام حيث سقطوا كأسرى حرب بيد الجيش التونسي وكان من بين ما استولى عليه يوسف صاحب الطابع من أثقال محلة الجزائريين مدافع وسلاح وابل (الفونص روسو،١٩٩٢ ،ص١٧٧)؛(الضياف ،١٩٩٩،ص٤٩) ، حيث انتهت المعركة بفرار الجنود الجزائريين حتى أن حكامهم وضباطهم فروا هاربين بأنفسهم، طالبين النجاة لأرواحهم وتم أسر ما يقارب (٨٠٠) رجل أوخذوا نحو العاصمة التونسية وقتل من رفقائهم ما يقرب (٢٠٠٠) شخص والباقين فروا هاربين وطالبين النجاة ثم بعد ذلك أستولى الجيش التونسي على جميع جمال وأحمال المحال مع

مدافعهم وكورهم وسائر المهمات والأدوات الحربية وتمكنوا أيضاً من الحصول على مئات الخيم (الزهار،١٩٨٠،ص٩٧) .

ثالثاً: حرب عام ١٨٠٨ بين تونس والجزائر :

استعدت الجزائر وتونس بعد معركة وادي سراط في سنة ١٨٠٧ لخوض حرب جديدة في ربيع ١٨٠٨، بدأ حمودة باشا بالتجهيز لحملة تونسية تألفت من (٣٠٠٠) جندي تركي و (٤٠٠٠) تونسي من قبائل زوارة، وقوات أخرى من فرسان القبائل التونسية، بينما كانت الحملة الجزائرية تتألف من قوات كبيرة من الجند الأتراك وفرسان القبائل الجزائرية، وكانت تلك الحملة بقيادة حسين أغا وعلي باي قسنطينة ١٨٠٧-١٨٠٨ (عمار بن خروف،١٩٩٦،ص٤٤٦) إلا أن فتنة قام بها أحمد الشاوش والذي أخذ يدبر في مؤامرة لقتل باي قسنطينة والاستيلاء على منصبه فراقب خروجه إلى معسكره لملاقاة حسن أغا القادم من الجزائر، فكان قد لاحظ استقرار الجيوش خارج مدينة قسنطينة، وقدوم الباي علي وحسين آغا إلى داخل المدينة، للاستعداد للرحيل إلى تونس، فذهب إلى معسكر الجيش بوادي الرمال، وتكلم مع البعض منهم(العنتري،٢٠٠٧،ص٩٧-٩٩) فحرضهم على عدم المشاركة فيها والخوف من خيانتها، كما وقع في واقعة وادي سراط، ثم ثار على الأغا والباي فقتلهما، وبايعه المؤيدون لهُ بایاً على قسنطينية، وعزم التوجه إلى الجزائر للإطاحة بالداي واستلام الحكم فيها، وبعث إلى حمودة باشا بعثة من ثمانية رسل، حلت بتونس في مطلع تموز ١٨٠٨م وعرض عليه السلم(عمار بن خروف،١٩٩٦،ص٤٤٦-٤٤٧) إلا أن حمودة باشا لم يثق في جدية عروض قائد قسنطينة الجديد(أحمد عزت،١٩٧٠، ص٦١-٦٢) ، وفي هذه الأثناء نجح داي الجزائر في إرسال باي جديد إلى قسنطينة اسمه أحمد طوبال (أبن العطار،٢٠١١، ص٢٢-٢٣) ، مدعوم بتعزيزات كافية من القوات الجزائرية مكنته في الحال من كسب تأييد الأهالي والعسكر، ومن إرجاع النظام والسكينة إلى مدينة قسنطينة وجيشها، وكان أول عمل قام به الباي الجديد هو القبض على أحمد شاوش ثم إعدامه وهكذا لم تدم حملة عام ١٨٠٨م بين جيشي الإيالتين سوى ١٥ يوماً، حيث لم ينتهز حمودة باشا فتنة أحمد الشاوش للاستيلاء على قسنطينة وضمها إلى تونس (عماربوحوش،٢٠٠٨،ص١٣٤).

المحور الثالث :المواجهة الحاسمة و تخلص تونس من الهيمنة الجزائرية ١٨١١-١٨١٣

أولاً : المواجهة البحرية الأولى بين تونس والجزائر ١٨١١-١٨١٢

لم تستطع الجزائر تناسي هزيمتها البرية عند حدودها مع تونس، وبالرغم من أنها سعت لدى تونس لإبرام هدنة معها أفضت إلى حقن الدماء على طول الحدود بينهما، إلا أن الجزائر ظللت مع ذلك تأمل في الانتقام من التونسيين(عمار بن حروف ،١٩٩٦،ص٤٤٧) ، فقد أصبح داي الجزائر يركز نشاطه

الحربي ضد حمودة باشا على قواته البحرية التي لم تتوقف عن ملاحقة السفن التجارية التونسية في عرض البحار، وحتى في الموانئ مؤثرة بذلك على تجارة تونس الخارجية(رشاد الإمام ،١٩٧٩،ص٤٠٠) ، ففي أيار ١٨١١م طلب الداي علي من الرايس حميدو الهجوم على جزيرة جربة وأخذها ، وقد سافر حميدو بالمراكب إلى تلك الجزيرة وأرسى بمرساها، وقصف بالكور برها فهرب أهلها وبقي بها أياما ثم غادرها في اتجاه جزيرة قرقنة (الحمروني ، ١٩٨٨،ص ١٣١) وكان سبب المغادرة أن السفن الجزائرية بسبب جهلهم لطبيعة بحار تلك الجزيرة غاصت سفنهم في السباخ المحيطة بالجزيرة، وتعذر عليهم الخروج منها بسهولة، ولم يتمكنوا من الإفلات إلا بعد ساعات بعد جهد مضني وكان ممن بقى في المدينة يصوبون عليهم وابلا من الرصاص (عمار بن خروف، ١٩٩٦، ص ٤٤٦)؛(رشاد الإمام ،١٩٧٩، ص٤٠٠).

جهز حمودة باشا أسطولا بحريا يتألف من ١٢ مركبا، وفي مياه جزيرة قرقنة التقى الأسطولان الجزائري بقيادة الرايس حميدو، والتونسي بقيادة الرايس محمد المورالي، وجرى بينهما قتال عنيف بتاريخ ٢٢ أيار ١٨١١(ألبير دوفال، ١٩٧٢، ص ٨٤) ، تمكن فيه الرايس حميدو بعد ٦ ساعات من التغلب على الفرقاطة التونسية وأسرها، وأسر قائدها محمد المورالي(عمار بن خروف، ١٩٩٦، ص ٤٥١) ، في حين أن السفن التونسية الأخرى تمكنت من الفرار ولم تدركها السفن الجزائرية التي لاحقتها(ألبير دوفال، ١٩٧٢، ص ٨٥-٨٦) انتهت تلك المعركة البحرية بين البحرية الجزائرية والتونسية بهزيمة الأسطول التونسي، فكانت الحصيلة ما يقارب (٤١) قتيلا من الجانب الجزائري، أما خسائر تونس فكانت ما يقارب (٢٣٠) قتيلا (الضياف، ١٩٩٩،ص٥١)؛ (ألبير دوفال، ١٩٧٢، ص ٨٥-٨٦)

قام الباي حمودة باشا بعد هذه الهزيمة البحرية، بعزل، رياس بحريته ونفاهم عقابا لهم على عدم تعاونهم مع قائد الأسطول أثناء الاشتباك الأسطول الجزائري(رشاد الإمام ،١٩٧٩،٤٠٠-٤٠٢) ، أما الأسطول الجزائري فإنه دخل ميناءه مكرما، واحتفلت الجماهير بالتصفيق والهتاف للرايس حميدو، وبالغ الداي في تكريم الرايس حميدو بعد تلك الواقعة البحرية الهامة أمام الضربات التي كانت تتلقاها التجارة الخارجية لتونس عن طريق البحر على يد البحرية الجزائرية ، على أثر ذلك اهتم حمودة باشا بتقوية بحريته ليتسنى لها التصدي بنجاح للبحرية الجزائرية، فبلغت وحداتها في نهاية سنة ١٨١٢ أكثر من خمسين قطعة (رشاد الإمام ،١٩٩٨، ص٢٢٢-٢٢٣).

بقت العلاقات مقطوعة بين البلدين وحالة الحرب مستمرة بينهما إلا أنه لم تحدث معارك على الرغم من أن القبائل على الحدود بين البلدين كانت دائمة التحرش ببعضها، وأن عسكر البلدين على تلك الحدود كانا في حالة استعداد دائم ترقبا لأي هجوم من أي طرف(عمار بن خروف ،١٩٩٦،ص٤٥٤).

وفي أعقاب تدهور العلاقات بين الإيالتين قام السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٩-١٨٣٩) باستدعاء وكيل تونس في أزمير محمد عرنبود ، واستفساره من قبل القبطان دريا محمد خسرو باشا عن سبب النزاع بين الوجقات وعدم وقوع الصلح بينهم(الشريف ،١٩٩٣، ص-٨٩-٩١)، ثم أصُدر خط همايوني(شويتام أرزقي ،٢٠١١، ص١٦٣) ، من السلطان محمود الثاني بإرسال مبعوث إلى كل من الجزائر وتونس لعقد الصلح بينهما، واختار لتلك المهمة عمر أغا باش أغا الأسطول الهمايوني مأمورا لتلك الغاية، وقد حذر السلطان العثماني داي الجزائر وباي تونس من أن من يخالفا هذا الخط الهمايوني فإنه لن يقبل هداياهم(مزالي ،١٩٦٩، ص٧٠-٧١) كما أخبر وكيل تونس بإسطنبول المبعوث العثماني بأن الجزائريين خرجوا بسفنهم قرب سواحل تونس، و هاجموا جزيرة جربة والحقوا الأضرار بها في ٢٤ تموز ١٨١٢ بعثت الجزائر قسماً من أسطولها الذي كان يتكون من ١٩ سفينة (محمد حلوان ،٢٠١٥، ص١٠٧) مكلفة بفرض حصار جديد على مدينة حلق الوادي، وبالرغم من المظهر العدائي لهذه العملية إلا أن قائد الأسطول الجزائري سعى إلى فتح مفاوضات سلام مع حمودة باشا، وتقديم رسالة إليه في ذلك الشأن مقترحا عقد صلح نهائي مع تونس، شريطة أن تقبل هذه الأخيرة ببعض الالتزامات وعلى الأخص الموافقة على إرسال شحنة من زيت الزيتون إلى الجزائر(الضياف ،١٩٩٩، ص٥٧) ، ودفع الضريبة القديمة وهدم قلعة الكاف (عمار بن خروف،١٩٩٦، ص٤٥٥) ، فكان جواب حمودة باشا على ذلك العرض تجسيماً صريحا لكل سياسته تجاه الجزائر، فقد أجاب بأنه يرفض رفضا باتاً كل اقتراح يفضي إلى إقامة صيغة ضريبة سياسية، ولكنه وليبرهن على صدق نواياه في عقد الصلح مع الجزائر قبل بعث حمولة سفينة زيت كل سنة، بدون اعتبار ذلك في أية حالة من الحالات تكريسا لحق تفوق رتبة أو سيادة لصالح الجزائر، وشرح حمودة باشا بعثه لتلك الحمولة بأنه واجب ديني مادام سيكون ذلك الزيت بقصد إضاءة جوامع مدينة الجزائر(الزهار ،١٩٨٠، ص١٠٧)، ويبدو أن جواب الباي حمودة باشا على عرض الصلح لم يرقى إلى قائد الحملة الجزائرية الريس حميدو، وقام الأخير برمي الكور في مدينة حلق الوادي فهرب من كان بها ووقع هول كبير بمدينة تونس وفي طريق عودة السفن الجزائرية إلى الجزائر استولت في طريقها على عدة مراكب للتجار التوانسة(خلاصي ،٢٠٠٧، ص٩٨-٩٩) .

بعد فشل الحملة الجزائرية البحرية على احتلال تونس في صيف عام ١٨١٢، صمم داي الجزائر على الاستعداد ببعث حملتين الأولى برية والثانية بحرية لأجل احتلال تونس في عام ١٨١٣، إلا أن الظروف الداخلية للجزائر لم تساعد الداي على الهجوم بحملتين في آن واحد على تونس، وفي هذه الأثناء نجد أن السلطان العثماني أمر بحجز سفن بلدان المغرب ، وذلك بعد فشل مبعوثه إلى الجزائر في إنهاء حالة الحرب بين الجزائر وتونس(علي تابليت،٢٠١٦،ص٨٨-٨٩).

ثانياً: الحملة البحرية الثانية الجزائرية على تونس (تموز ١٨١٣) :

شهد عام ١٨١٣ واقعتين حربيتين بين الجزائر وتونس الأولى بحرية في تموز عام ١٨١٣ والأخرى برية في تشرين الأول عام ١٨١٣، وكانت هاتان الواقعتان الهامتان هي أخر الوقائع بين البلدين في عهد مدة حكم حمودة باشا قدم إلى مياه حلق الوادي أسطول جزائري في ٢٣ تموز ١٨١٣ مكون من (٥٤) مركبا شراعيا من بينها (٢٥) قاذفة(محمد حلوان ،٢٠١٥، ص١٠٨) بقيادة وكيل الخرج فارضا حصارا بحريا على الميناء مدة شهر(الزهار ، ١٩٨٠، ص١٠٨) ، وبعد ذلك أقلعت السفن الجزائرية عائدة إلى الجزائر، بعدما فشلت في تحقيق النصر على البحرية التونسية خاصة بعد العطب الذي أصاب السفن الجزائرية ما أجبرها على رفع الحصار ، هذا وكانت البحرية التونسية قد حشدت لهذه المعركة البحرية ما يقارب (١٠٠) سفينة (عزيز سامح ،١٩٨٩، ص ٥٩٧-٥٩٨) فكان سبب الهزيمة الجزائرية في هذه المعركة البحرية، إلى مؤامرة وتخاذل مدبر مسبقا في مدينة عنابة من قبل رياس هذه الحملة البحرية بعدما كان قائدهم (وكيل الخرج) قد وعدهم بقتل المتكاسل عن القتال، وفي ذلك يقول الزهار " **فلما دخلوا لعناية نادي وكيل الخرج المذكور على رؤساء المراكب، يجتمعون عنده ليتكلم معهم وكان القبطان حميدوا مريضا فلم يذهب معهم، فعندما اجتمعوا عنده قال لهم: إننا قاصدون تونس، ويجب علينا أن نكون بمرسى حلق الوادي وندخله بعد ثلاثة أيام ومن تكاسل يقتل**"(محمد حلوان ،٢٠١٥، ص ١٠٩) ، وإلى جانب ذلك فإن التفوق العددي للسفن التونسية كان واضحا (أكثر من مئة)، فما إن نشب الاقتتال من أول يوم حتى كانت السفن الجزائرية قد تلقت إصابات في قطع أسطولها مما أجبرها على الانسحاب(رشاد الأمام ،١٩٩٨، ص٢٢٨-٢٢٩).

ثالثاً: المواجهة البرية بين الجيشين التونسي والجزائري(تشرين الأول ١٨١٣)

كان مقررا من قبل داي الجزائر هو الهجوم على تونس من جهتي البر والبحر، فإذا كانت الحملة البحرية قد فشلت في احتلال تونس في تموز ١٨١٣، فإن الحملة البرية تأخرت إلى شهر تشرين الأول من نفس العام، والسبب في ذلك يعود للأحداث الداخلية التي عرفتها الجزائر ولاسيما تمرد باي وهران الذي رفض أن يشارك بقواته في الحملة على تونس(الزهار ،١٩٨٠، ص ١٠٩) ، وهذا ما استغله حمودة باشا ليقوم بهجوم مفاجئ على (قسنطينة)، لكن نعمان باي (محمد حلوان ،٢٠١٥، ص ١٠٨-١٠٩). تمكن من صد الهجوم التونسي وإجبار حمودة باشا على الانسحاب إلى داخل الحدود التونسية . بعدما قضى عمر أغا على باي وهران المتمرد وقطع رأسه ، زحف بمعية باي قسنطينة نعمان باي(١٨١١-١٨١٤) إلى مدينة الكاف، والتي كان قد وصل إليها يوسف صاحب الطابع في ١٢ تشرين الثاني ١٨١٣، وذلك بعد أن ركز إسماعيل كاهية جميع أفراد الجيش التونسي في المدينة وحواليها حسب الأوامر الموجهة إليه (رشاد الأمام ،١٩٧٩، ص٤٠٣) ، وبعد العمليات العسكرية الأولى بين القوات

الجزائرية والقوات التونسية التي لم تكن لصالح الجزائريين، حاول عمر أغا التفاهم مع حمودة باشا على شروط السلام، ولكن هذا الأخير لم يقبلها لأنها مذلة، واستمرت المناوشات بين طلائع الجيشين(محمد حلوان ،٢٠١٥، ص ١٠٩) ، وما إن حل الليل حتى أحس بعض رجال الجيش التونسي حركة عامة غريبة في الجيش المقابل وما راعهم عند بزوغ الفجر إلى أن رأوا جيش الجزائر في حركة فرار وانسحاب كامل(أبن سلامة ،١٩٦٩، ص ١٥-١٦)؛(رشاد الأمام ،١٩٧٩، ص٤٠٣) ، وكان ذلك في أواخر تشرين الأول ١٨١٣(الضياف ،١٩٩٩، ص٥٩-٦٣) ، في حين أن أحمد الشريف الزهار يذكر في مذكراته بأنه لم يجري أي قتال بين الجيشين في مدينة الكاف، والسبب في ذلك أن عمر أغا لما وصل إلى الكاف بلغه رجوع الحملة البحرية إلى الجزائر، فعاد هو كذلك دون أن يجري قتال بينه وبين أهل تونس، لأن هدفهم كان القتال برا وبحرا لإخضاع تونس أي كان يريد أن تكون المعركة واحدة من محورين (الزهار ،١٩٨٠، ص١٠٨)

كلف السلطان العثماني محمود الثاني في تلك الأثناء كبير البوابين بالتوجه إلى الجزائر وتونس لحل الخلاف القائم بين الإيالتين، وقد واجه المبعوث صعوبات جمة، ورغم ذلك لم يتوصل إلى نتيجة مرضية لأن أيا منهم لم يستمع لأقواله، فعاد كبير البوابين إلى استانبول، فأمر السلطان محمود الثاني بحجز ومقاطعة الجزائريين وسفنهم في جميع الممالك العثمانية، وأخبرهم في حال عدم خضوعهم لأوامره فإنه سيأمر الأسطول بالتوجه إلى الجزائر لتأديب العصاة والخارجين عن القانون وقطع رأس الداي المتمرد، فخضع الحاج علي باشا، واستتب السلم بين تونس والجزائر (عزيز سامح ،١٩٨٩، ص٥٩٧-٥٩٨) ، وقد كان ميل الجزائر إلى السلم بعد فشل حملتيها على الكاف ومدينة تونس دون أن يبرم عقد بشأنه، وذلك فيما تبقى من عهد الداي علي والباي حمودة باشا(عمار بن خروف ،١٩٩٦،ص ٤٥٦) ، وقد قرر السلطان العثماني فيما بعد رفع الحظر الذي ضربه على السفن والأملاك التابعة لممالك شمال إفريقيا ورعاياها في٣ تشرين الثاني ١٨١٣.وبعد هذه المعركة انتهت الهيمنة الجزائرية على تونس(رشاد الأمام ،١٩٧٩، ص٤٠٤-٤٠٥)

الخاتمة

١- أن العلاقات بين تونس والجزائر حين مالت إلى العداء والحرب لم تكن تعبر دائماً عن إرادة السكان في البلدين وإنما تعبر بالخصوص عن إرادة الحكام القابضين على السلطة إذ أن السكان لا يتبنون سياسة الحكام .

٢- أن العلاقات المتذبذبة بين تونس والجزائر كانت عاملاً مهماً على التفات كل منهما على تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية أيضاً مع الدول الأوربية لما قد يعود عليها من دعم لقوتها الاقتصادية والسياسية .

٣- على الرغم من الحروب الطويلة التي كانت قائمة بين تونس والجزائر إلا أن تونس كانت تعتبر الجزائر بمثابة الإيالة الوصية عليها لا بد من العودة عليها واستشارتها

٤- على الرغم من العلاقات المضطربة بين تونس والجزائر إلا أنه كانت هناك علاقات اقتصادية وتبادل اقتصادي نشط وهذا ما يدل على الأواصر الموجودة بين السكان.

٥- كان حكام الجزائر يمنون على الأسرة الحسينية في تونس بأنهم هم من ثبتوهم بالحكم على إثر ذلك كانوا يفرضون الضرائب السنوية عليهم ويبيحون لأنفسهم حق التدخل في شؤون تونس.

٦- لم تتمكن تونس من التخلص من الهينة الجزائرية إلا بعد أن تمكنت من تكوين جيش قوي وتطوير بعض الصناعات العسكرية وإصرار حاكمها حمودة باشا على التخلص من الهيمنة الجزائرية بشتى الطرق .

٧- أثبت حمودة باشا أن تطوير الصناعات العسكرية ومواكبة التطور ، يجعل من الدولة المغمورة يحسب لها حسابات خاصة في المعادلات الدولية وهذا ما حصل في إعادة توازن القوى بين تونس والجزائر ، ودخول الدولة العثمانية كطرف وسيط لإنهاء الحروب التونسية الجزائرية .

٨- كانت الوصاية الجزائرية على تونس قاسية جدا بحيث كانت تؤثر بشكل مباشر على الاقتصاد التونسي وعلى التدخل في شؤون تونس بشكل مباشر مما ولدت رد فعل قوي وقرار مصيري من قبل حمودة باشا بضرورة التخلص من هينمة دايات الجزائر بأي ثمن

Source list

1-Habib Boularass, The History of Tunisia, the Most Important Events and Events from Prehistoric Images to the Revolution, presented by Al-Sadiq Bin Al-Ahtag, Tunisia, Saras Publishing House, 2015
2-Parts of Ahmed bin Abi Al-Diyaf, Ithaf Ahl al-Zaman Bi Akhbar Tunisian Kings and the Era of Security, investigation by a committee from the Ministry of Cultural Affairs, Tunisia, Arab Book House, 1999, parts8.
3-Ahmed Sharif Al-Zuhour, Memoirs, Ahmed Tawfiq Al-Madani, Algeria, National Publishing and Distribution Company, 2nd edition, 1980.
4-Ahmed Ibn Al-Mubarak Ibn Al-Attar, History of the Country of Constantine, edited by Abdullah Hammadi, Algeria, Dar Al-Fayzain for Printing and Publishing, 2011.
5-Ahmed Ibn Al-Mubarak Ibn Al-Attar, History of the Country of Constantine, edited by Abdullah Hammadi, Algeria, Dar Al-Fa'izin Printing and Publishing, 2011,
6-Ahmed Ibn Al-Mubarak Ibn Al-Attar, Studies in the History of the Modern Arabs, Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabi, 1970
7-Ahmed Al-Hamrouni, Dictionary of Al-Mada'in Al-Tunisia, Tunisia, Media Com Publishing, 2nd edition, 1988.
8-Ahmed Ezzat Abdel Karim, Studies in the History of Modern Arabs, Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabi, 1970.
9-Albert Duval, Rais Hamidou, Arabization, Muhammad Al-Arabi Al-Zubairi, Algeria, Algerian Printing Corporation, 1972.
10-Alfonso Rousseau, Tunisian Annals from the Arab Conquest to the Occupation of Algeria, Arabized and edited by: Muhammad Abdel Karim Al-Wafi, Benghazi, Qaryounis Publications, 1992.
11-Oren Ray, Diplomatic Relations between the Maghreb Countries, 1776-1816, Translated by Ismail Al-Arabi, Algeria, National Book Foundation, 1984.
12-Saadallah Abu Al-Qasim, The Cultural History of Algeria, 1500-1830, Part 2, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1998.
13-Charles Andre Julien, History of North Africa, Tunisia, Algeria, Al-Aqsa Morocco, edited by Muhammad Mazali, Al-Bashir Ben Salama, Tunisia, Tunisian Publishing House, Tunisia, 1978.
14-Shwetam Arezki, The End of Ottoman Rule in Algeria and the Factors of its Collapse, 1800-1830, Algeria, Dar Al-Kitab Al-Arabi for Publishing and Distribution, 2011.
15-Ammar Ben Kharouf, Algeria's political relations with Tunisia during the era of the Dynasties 1670-1830, Damascus, Dar Al-Nahda, 1996.
16-Ali Tablet, Rais Hamidou, Admiral of the Algerian Navy 1770-1815, Algeria, Dar Thala, 2016
17-Aziz Sameh Altar, The Ottoman Turks in North Africa, translated by Mahmoud Ali Amer, Beirut, Dar Al Nahda Al Arabiya, 1989.
18-Ammar Bouhouche, The Political History of Algeria from the Beginning to 1962, Algeria, Dar Al-Basair, 3rd edition, 2008.
19-Ali Khalasi, The Algerian Army in the Modern Era, Algeria, Dar Al Hadara, 2007

20-Omar Ali bin Ismail, The Collapse of the Qaramanli Dynasty's Rule in Libya 1795-1835, Libya, Libyan Center for Archives and Historical Studies, 2nd edition, 2022
21-Lotfi Bou Ali, Military Modernization: A Microhistorical Reading in the Tunisian Experience (1830-1881), Tunisia, Sotimedia Publishing and Distribution, 2019.
22-Muhammad Al-Hadi Al-Sharif, The History of Tunisia from Prehistoric Times to Independence, Arabized by Muhammad Al-Shawish, Muhammad Ajina, Tunisia, Saras Publishing House, 3rd edition, 1993.
23-Muhammad al-Tayyib Ibn Salamah, al-Aqd al-Mundad fi Akhbar of Maulana Field Marshal Ahmad, Tunisia, National Book House in Tunisia, 1969.
24-Muhammad Al-Saleh Ibn Al-Antari, Farida Mansi in the event of the Turks abandoning the country of Constantine and their seizure of its homelands, presented by Yahya Abu Aziz, Algeria, Dar Houma, 2007.
25-Muhammad Al-Saleh Mazali, Succession to the Husseini Throne and the extent of respect for its regime, Tunisia, Tunisian Publishing House, 1969.
26-Muhammad Bayram Al-Fifth, Safwat Al-Idhaar, The Repository of the Lands and Countries, vol. 1, Dar Sader, D.T.
27-Nasser al-Din Saidouni, Studies and Research in the History of Algeria in the Modern and Contemporary Period, Part 2, Algeria, National Foundation, 1988.
28-Muhammad Al-Hadi Al-Amiri, The History of the Maghreb in Seven Centuries between Flowers and Withering from the Seventh Century AH to the End of the Thirteenth Century, Tunisia, Tunisian Company for Tuzi, 1974.

University theses and dissertations
1-Hissam Houria, Relations between the states of Algeria and Tunisia during the eighteenth century, Master's thesis (unpublished), Algeria, University of Oran, 2013.
2-Rashad Al-Imam, The Politics of Hamouda Pasha in Tunisia 1782-1814, doctoral thesis (unpublished), Beirut, American University of Beirut, 1979.

3-Muhammad Helwan, Relations between the provinces of Algeria and the provinces of Tunisia and Libya 1750-1830, (Master's thesis), Algeria, Al-Jilali Al-Yabis University - Sidi Abbas, 2015

English sources

1- Narcisse Faucan: la Tunisie arant debuis loccupation Frocaise histoire et Colonial, Paris, 1893,

Journals/Research/

1-Rashad Al-Imam, The Army during the Era of Hamouda Pasha (1782-1814), Defense Magazine, Tunisian Ministry of Defense, Proceedings of a symposium entitled The History of the Tunisian Army from Ancient Times to the Era of Transformation, 2nd edition, July 1998.

2-Muhammad Al-Habib Azizi, Network of Inter-Tunisia and Constantine Relations in the Ottoman Era, Arab Historical Journal of Ottoman Studies, Al-Tamimi Foundation for Scientific Research and Information, Issue 64, December 2012.